

الدولة العثمانية

﴿ تعاقب مسلمي الهند وغيرهم وأمالهم فيها ، ونظرة في حالها ومستقبلها ﴾

لا يظهر الاهتمام بأمر الدولة العثمانية في قطر من الاقطار الاسلامية كما يظهر في الهند ومصر ، بل امتازا به من الحرية وانتشار العلم ، وانا نرى في هذه الايام في مطبوعات الهند ما لا نراه في المطبوعات العربية ولا التركية من النهج بالخلافة ، والخوف على دولة الخلافة ، والتألم من الحرب البلقانية ، وتغني الورد اليها بعد الهدنة رجاء النصر للدولة العثمانية ومن موجبات الاسف أن هؤلاء المسلمين لا يعرفون حقيقة حال الدولة ولا حقيقة مصلحتها ومصلحة المسلمين المرتبطة بها ، ويرتب على هذا أنهم لا يعرفون كيف ينقذونها ولا كيف يدفعون الضرر عنها ، بل كانوا ولا يزالون يفتنون انفس الانتصار والتعزيب لكل من يتولى أمر هذه الدولة في الاستانة هو الذي يقوّمها ويحفظ استقلالها ، ويحفظ بحفظه الاسلام ويقام شرعه ويحمى الحرمان الشريفان

على هذه القاعدة كانوا يتشيعون السلطان عبد الحميد الخرب لبنيان الدولة من الداخل ، ثم صاروا ينتصرون لمن خلفوه من الخريين من الداخل والخارج ، وكانت جرائدهم تظهر هذا الانتصار ، وكان من تأثيرها اضاف سعي طلاب الاصلاح من العثمانيين في مصر مدة زمن السلطان عبد الحميد ، وقد استطاع الاتحاديون أعداء عبد الحميد أن يستخدموا كثيرا ممن كان يستخدمهم كالحزب الوطني في مصر ، ولكن كان من سوءهم ان سقط هذا الحزب ولم يبق له من أثر الا سفاهة بعض الشبان الخلق تظهر في بعض الجرائد التي لا يابيه لها أحد يؤبه له في مصر

ولم يستطع المصريون والهنديون ان يفهموا الاستانة بشيء الا ما جمعه من المال الامانة على الحرب وبعثات الحلال الاحمر ، ولم يكن للحزب الوطني تأثير في جمع ثبات الالوف من الدنانير التي جمعت من مصر ، ولكن كان الدؤيد ولؤيس المؤيد يد يضاء وتأثير عظيم في ذلك وهما اللذان يتبهما الحزب الوطني بعداوة الدولة العثمانية ثم ان مسلمي الهند ومصر صاروا يبحثون في سياسة الدولة الداخلية والحرية واني اعتقد ان جميع الهنديين واكثر المصريين مخلصون في ذلك تدفعهم الغيرة الدينية الى هذا البحث ، ولا يشذ الا أفراد من المنتمين الى الحزب الوطني هنا فانهم مستأجرون ،

ولا تمنع الكتابة في هذا الموضوع وان كانت عن اخلاص الا اذا كانت عن معرفة صحيحة بحقيقة الحال ورأي صحيح فيما تقتضيه

نشرة صحيفة. ريس عن حيدر آباد

جاءتنا نسخ من هذه النشرة التي طبعت باللغة العربية لايقاف العرب في مصر والشام والاستانة « على رغائب اخوانهم المسلمين في الهند في الازمة الحاضرة » وعهد اليهم الكاتب ان ينقلوها الى جرائدهم العربية وينشرها بالتركية . وقد وزعنا النسخ التي وصلت لنا ورأينا من حق الكاتب ان يشر الى ما كتبه في المنار ايضا وان كنا لانوافق على كل ما ارناه . في النشرة مسائل مهمة نالخصها فيما يأتي (١) وهنالك كتب شدة تعلق مسلمي الهند بالدولة العثمانية وان « الدولة البريطانية تعرف هذا جيدا فاستفادت بالخلافة الاسلامية ما استفادت » وذكر عن ذلك ان السلطان تبهواك بطل الاسلام في الهند كان في القرن الثامن عشر أرسل سفارة سياسية الى سدة الخلافة ولكن رجال الدولة العلية اصدروا فرمان الشاهاني بوجوب مودته للدولة البريطانية . وان السلطان عبد المجيد أصدر فرمانا في عهد الثورة الهندية الكبرى سنة ١٨٥٧ بوجوب طاعة مسلمي الهند للدولة البريطانية كما طلب منه الانكليز . وهكذا أصدر فرمان الامير شير علي خان امير الافغان بوجوب الاعتصام بمودة الانكليز ونحن نقول للكاتب صدقت وزيدته أن الدولة لجهلها بقيمة منصب الخلافة لم تسلم عملا ما تستفيد به منه ، ولكن الانكليز هم الذين احيوا اسم الخلافة واستخدموه حتى في عهد سلطة الاتحاد والترقي فقد حملت الوزارة الاتحادية السلطان محمد رشاد في العام الماضي على إرسال أحد انجاله بكتاب خاص من خط يده الى تودينج ملك الانكليز في مياه شهر يور سجد عند سفره الى الهند لاجل الاحتفال بالباسه تاج الامبراطورية الهندية ، وعلان مودته له ولدولته .

ولكن ما يدرينا الآن أن اظهار المسلمين لشدة تعلقهم بالدولة العثمانية صار يخيف الانكليز من عاقبته فحملهم هذا على الرضى بازالة سلطانها ، وهل ينفع الدولة حينئذ شدة حزن الهند على ما أصابها ، وترك طلبية العلم هناك أكل اللحم لتوفير المال لها ؟ (٢) أشار الكاتب الى أقوال الظن ان أهل هذه البلاد اظهروا عايبا كيان جريدة (كامريد) الدهلوية لحال المسلمين الآن ، وقول الخواجة مظهر الحق (بيرسترامتلا) في محاضرة ضمت بها ارجاء الهند « ان هذه الحرب أريد بها اخراج الترك أو المسلمين من أوربة - أو حرب بين الاسلام والنصرانية » وما قاله (السبرجيه من محبتن اقتلنت

غورنر) في خطابه لطلبة كلية عليكره . ونحن نخبره ان أهل البلاد العربية لم يطلعوا على ما ذكره ولكني أظن أنه لم يقل عندهم شيء الا وقيل عندنا مثله أو أشد ،

(٣) قال « بل الخطر ظهر جلياً لآسية الصغرى والشام والعراق بل العرب نفسها مركز قلوب المسلمين فان نفوذ أوربة في هذه البلاد أنتم أعلم به منا ولا شك انكم تعرفون كيف يزداد نفوذ ألمانية كل يوم في العراق والافاضول » وذكر طبع هذه الدولة هناك وطبع فرنسا في سورية (ونسي أو تناسى ان طبع انكلترة في بلاد العرب أشد وأوسع) وان دول أوربة أنشأت تبحث في تقسيم أملاك الدولة في آسية بعد ان فرغت منها في أوربة . ثم أشار الى ما ذهب من أملاك الدولة في القرنين الاخيرين بتدخل أوربة وأنه لا فائدة في ابقاء سيادة الخلافة اسماً بلا معنى

ونقول ان خواصنا أعلم من خواصهم بكل ما قال كما قال و يرون ان الذنب على الدولة لا على دول أوربة فان أوربة قد وصلت الى درجة عالية في فتح الممالك وهي ما تسميه الفتح الاسمي ومن الخجل ان تبقى الدولة الألمانية بجانبها وهي على جهلها وظلمها وكسبها وعدم اهتمام رجالها بشيء غير سلب مال الامة لأجل التمتع به . ولو جارت الدولة تلك الدول في العلم والعمل والعدل في امتهما والنظام والقوة لنافسوا في التقرب اليها وتسابقوا الى مخالفتها ، للاتضاع من قوتها ، أو تركتها وشأنها خوفاً من شدة بأسها ، فهي قد تركت كل عمل نافع واتكملت على تنازع الدول عليها ، توهمها انهن لن يتفقدن عليها ، نغاب ظنهما وبطل وهمها

(٤) نتيجة ما تقدم والقصد من النشرة ان اخواننا مسلمي الهند يرون انه يجب ان لا ترضى الدولة باستغلال ألبانية (بلاد الارنؤط) ولا بالتنازل عن شيء من مكدونية لأن ذلك يسقط مقام الخلافة وهيبتها ويعزى الدول بالجري على هذه الحطة في ولايات آسية . فيجب ان لا تقبل الدولة الصلح بحال من الأحوال ، وان لا تبالي بسيلان أضعاف ماسال من أنهار الدماء ، فالخطر على الدولة مترتب على الصلح وإذا يصير الحرمان الشريفان على خطر . وقد بالغ الكتاب في التحريض على مداومة القتال ، وأتى بما أتى به من البر والامثال . فلم انه هو وجمهور اخواننا المسلمين هناك يعتقدون ان بالعود الى الحرب تحفظ عظمة الخلافة ويبصان الحرمان وتعلو كلمة التوحيد ونحن هنا نرى جمهور المصريين موافقين لآخوانهم الهنديين في رأيهم وشعورهم ، ومن يعلم همتنا منهم يزداد استعساكا برأيهم واطمئنانا به . وما هذا منهم يعجب قائم لا يعرفون حقيقة حال الدولة وإنما العجيب أن يضرب بعض الكتاب الشهابيين بها

الدفء، ويردد نعمات الحرب، ويقول إما صلح شريف تحفظ به أدرنة أو نصف أدرنة وأما موت شريف : وذلك ان الدولة يشتت من البلقان كله الا (أدرنة) التي ثبتت على الحصار

اني ليعز علي أن تؤخذ مدينة أدرنة غنيمة باردة بترك الدولة لها صلحا كما عز علي اضماف ذلك تركها على طرابلس الغرب وبرقة صلحا، وليكنني لأفهم معنى معقولا لتهريض الدولة للموت في الحرب، ولا كيف يكون هذا الموت شريفا في سبيل المحافظة على مدينة أدرنة كلها كما يقترح بعض الكتاب، أو على نصفها كما تقترح وزارة محمود شوكت باشا الاتحادية

ان موت الدولة ليس كموت رجل واحد يهان فيأرز من هيئته وان كان أقوى منه لينتقم منه أو يموت فلا يرى نفسه مهينا بين الناس. فان الدولة شخص مضموي وموتها عبارة من خروج الحكم فيها من أيدي أهلها الى أيدي الاجانب، وأهلها الذين يمزون بحياتها ويشرفون، ويدلون بموتها ويهانون، لا يموتون بذهاب الحكم منهم ولا ينقرضون، فهم اذا يطلبون الوقوع فيما يحذرون.

الا إن من كتم داءه قتلته، الا اتا قد سئمتا العرور والتعزير، الا اتا قد أصبحنا على شفا جرف، وسقوطنا في هاوية العدم منتظر في كل يوم، فلم يبق عندنا شيء نخاف عليه من اظهار حقيقة حالنا ان لا يعرفها منا، الا ان الحقيقة المجردة من لباس الزور والغرور هي ان هذه الدولة قد أصبحت مجبها وسرفها وغرورها وفقرها، ودهاء أوربة وعلومها وثورتها، لا تستطيع أن تعيش مستقلة عزيزة في عاصمتها بقوانينها وأنظمتها وتقاليدها، وبرجالها الذين ربههم أوربة لها، لانها تربية مذبذبة لاهي اسلامية ولا أوربية، وانما تعيش في تلك العاصمة كما تريد أوربة، فلا هي قادرة أن تحفظ عاصمتها من أوربة ولا الحرمين الشريفين ولا غيرها من البلاد. ولا يمنع أوربة أن تنصرف فيها - وهذه حالها - كما تريد الاتنازع الدول الكبرى واختلافهن فتقن على شيء أردنه كان أمراً مفعولاً

الا انني قد فعلت لهذا الامر من قبل وقتلته بحثاً وتفكيراً، ثم اقترحت على الدولة من بضع عشرة سنة أن تجعل الاستانة مركزاً حربياً وتجعل عاصمتها دهبقي الشام فان لم يقبل منهصوب الترك فقونية، وأن ترك هذا التفرنج كله وتؤسس لها قوة أسيوية عربية أهلية من العرب والترك فتجعل جميع أفراد الأمة مستعدين للحرب والكفاح للدفاع عن بلادهم وقت الحاجة. ولكن اقتناصها بمظمة اسم القسطنطينية وموقع

القسم الميزانية، وتسمية نفسها دولة أوروبية، وما يتبع ذلك من لذات هذه المدينة، قد حال دون التفكير في هذا الاقتراح وتفيذه. وقد علمت في هذه الأيام أن بعض كبار رجال الدولة اقترح على السلطان عبد الحميد نقل الناصبة إلى الأناطول قبل الانقلاب الأخير بمدة سنين، وأن أحد كبار ضباط ألمانيا الذين تولوا تعليم الجيش الألماني وتنظيمه قد اقترح مثل هذا الاقتراح في الزمن الأخير، وأخشى أن يصدق عليه المثل « بعد خراب البصرة » وجميع من أعرف من أهل الرأي العثمانية سيما الترك يرون أن استمرار الحرب خطر، وليس له فائدة تنظر، وسيظهر العواقب لجميع البشر حال الدولة ومستقبلها

فاجئنا في هذه الأيام نبأ مفرح وهو أن أنور بك الضابط الأنصاري هجم على الباب العالي مع فتية من رجال جمعته القداميين في حال انعقاد جلسة الوزراء وقتلوا فاضل باشا ناظر الحرية والقائد العام وبعض الحاشية وأكرهوا كامل باشا على الاستقالة فذهب بها أنور إلى قصر السلطان وعاد يحمل فرمان تعيين محمود شوكت باشا (١) صدراً أعظم وناظراً للحرية. فكيف حال دولة هكذا تسقط وزارتها وهكذا تصعب ستمرح في آخر هذا الجزء أخبار هذا الانقلاب وتقول هنا إن الخطر على الدولة قد اشتد، وسواء عادت الحرب أو لم تعد، فإن الأمر بيد الدول ولن تستطيع الدولة أن تعمل بقوتها شيئاً، ولكن تبذل دماء ألوف كثيرة وملايين من النقد بغير عرش ولا فائدة فترداد ضعفاً على ضعف، ويخشى أن تستبعض فتنة أنور فتنة داخلية أكبر منها، واللعنة مسجلة من الله ورسوله على موقظها، ثم ماذا؟

تتمسك الآن ساعة في هذه الفرصة ما يمكن امتصاصه من وشل ثروة الأمة العثمانية الممكنة، وما يمكن من أموال المسلمين المتبعين بالثروة والحرية وهم أهل مصر والهند، فلا يكون ذلك كله لا كمنفعة أو قسط قليلة من الماء تقع على خزفة أو آجرة سخنة. ثم لا مندوحة للدولة عن الركوع بين يدي أوروبا والباس مساعدتها بالمال والحال لإدارة حركة الدولة الداخلية، ويخشى أن تتوسل الدول بذلك إلى جعل مالية الدولة وأدائها تحت مراقبتها، وذلك منتهى ما يصبه أوروبا من إزالة هذه الدولة بالفتح السلمي.

إن ظني وظن من أعرفهم من العثمانيين الخاضعين في زعماء جمعية الاتحاد والترقي صريح جداً. فمنهم لا يمتدح أن يعطوا الدول فوق ما يطلب من ذلك كيح الأراضى

(١) محمود شوكت باشا شركسي الأصل بنصاري المنشأ وليس فاروقياً ولا عربي النسب كما اتعجب عقب الانقلاب، ووقعتا يومئذ في الخطأ الذي وقع فيه غيرنا. وقد أخبرني أخوه الفاضل مراد بك بأنهم وسبب وجودهم في العراق، وكان رفيقاً لي في سفرى من بغداد إلى حلب

الاميرية والامتيازات وقوة النفوذ وهو يسم البلاد الذي يسمونه القمع السلمي. فاذًا
وانا هم محمود شوكت باشا الذي نال الوزارة بمسئولتهم وختابهم فهي القاضية ووجب على
جميع الولايات الصبائية بالفضل أو الاسم أن لا تقبل بيع شيء من بلادها بأي اسم كان فإن
يلزم بيع شيء من بلادهم الاجامية فيلحقوا استقلالهم وعدم اختراقهم بهذا البيع فكما
كانت صورتهم ولا بالبايع بها كانت صفته. وليست كل قطر ليكون مثل طرابلس الغرب
لا يزيد تحتفظ الصنائع وسائر المسلمين من مساعدة الدولة بالمال فانا قد ساعدت
بحسب استطاعتنا ، ولما أقول ان هذه الحرب ان عادت لا تطول ، وينبغي ان يعلم
المساعدون ان يضعون أموالهم ، فيحجبها أهل الاقطار الصبائية على صلاح بلادهم ،
ويحجبها سائر المسلمين بحرم دينهم وحرم نبيهم ، فان ما يدرج الى الآستانة لا يقيد
الشرمين ولا غيرها شيئاً ، وان لا يأمروا جمعية الاتحاد والترقي على شيء من المال ،
والا قدموا بعد أيام أو شهور حيث لا ينفع الندم . بذلت هذه النصيحة وأنا موطن
تسعى على احتمال ايذاء أشد مما آذني به الحكومة الخديوية ، وعلى احتمال تخطئة
وقدم ونحن من الجامعين والناقلين ، كما احتملت مثل ذلك قبل من أنصار عبد الحميد
ولكن انا كان حتماً في مقاومة عبد الحميد لم يظهر الا بعد جهاد عدة سنين ، فان
حتمنا في الازمة الحاضرة سيظهر بعد أسابيع أو شهور ، وقد كنا نبين سينات الجمعية
وكسكت عن الحكومة فاذاً رأينا هذه الزاوية آلة يد الجمعية كوزارة حق باشا فانا
لامندوحة لنا عن الوقوف لما لمزماه وقد اقتربنا الى وقت لا يمكن السكوت معه والانتظار ،
ان الدولة على خطر لا يمكن لمخاضة البزقطين الخروج منه ولا يرجح للاسلام
خير منها فاذاً كان محمود شوكت باشا رجلاً فليسكر جميع تلك القيود والمقار ،
ويقطع جميع هاتيك الاعمال والسلاسل ، وليخرج الدولة من ذلك السجن الذي
يقعكم بها فيه الاوربيون واليهود للصهيونيون كما شاؤا وهو عنوان الاسلام والخلافة ،
ولينتهي في قلب آسية طامسة جديدة لا اسراف فيها ولا تبذير ، ولا نفخة فيها ولا
غرور ، ولا مكر يهودي ، ولا كيد اتحاددي ، ولا ضغط أوربي ، وليقيم الحكومة الجديدة
على أساس الامركزية ، ويجعلها شق الابلعة بين الامتين العربية والتركية ، بحيث يكونان
أمة واحدة قوية ، وينفذ ذلك بهمة تجمع بين العدل والاستبداد ، بعد أن ينقلب الجيش
عما طرأ عليه من الفساد ، ويقتل القتلة الأوغاد ، ولا يضيع الفرصة التي أضاع مثلها من
قبل ، وبذلك ينفذ نفسه والدولة من الخطر ، والاندم حيث لا ينفع الندم ، ونسأل الله
ان يبي هذه الأمة فرجاً ومخرجاً ، وان لا نندخر في خدمة من يعمل لا نقاذها ومسا .